

(ب) ولم يكن فراق يوسف كأي فراق آخر بين حبيبين يعرف كلاهما أين يقيم صاحبه ، ويرجو أن ينتهي الفراق يوماً بلقاء قريب ، وإنما كان فراقاً بعد مؤامرة ادعى فيها موت الصغير مقتولاً ، وانتهى إلى انقطاع كلي بين الابن وأبيه . حيث لا يعرف للابن مقر ولا مصير .

(ج) ولم تكن هذه المؤامرة أو هذا الكيد من غرباء موتورين ، أو أعداء متريصين ، فقد يهون الكيد على النفس إذا جاء من عدو ، وإنما كان الكيد من إخوة لأخيه ، وكان الكذب من أبناء على أبيهم ، وقد قيل : إن طعنة العدو تجرح الجسم ، أما طعنة الصديق فتجرح صميم القلب . فكيف بطعنة الأخ لأخيه ، والابن لأبيه ؟ !

ومع هذا تجمل يعقوب بالصبر أولاً ، وبالصبر آخرًا ، وقال بعد فراق الولد الأول : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١) .

وقال بعد فراق الثاني : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) فهو ليس صبر اليائس القنوط . إنما هو صبر الأمل الراجي في فضل الله ، الواثق بأن بعد العسر يسراً ، وبعد الفرقة اجتماعاً : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ .

ومع وعد يعقوب بالصبر الجميل لم يلبث أن هاج فراق ولده الثاني ذكرى ولده الأول - والأسى يبعث الأسى - فثار به الشوق والحنين والحزن ، فتولى عن أبنائه وقال : ﴿ يَا أَسَفًا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين * قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴿ (٣) .

ومن رحمة الله أنه قدر للبشرية طبيعتها وضعفها ، فلم يلم يعقوب على ما أبداه من أسف على يوسف ، ومن حزن ابيضت منه عيناه ، ولم ينزله بذلك عن درجة ﴿ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ الذين هم عند الله المصطفون الأخيار .

(١) يوسف : ١٨ . (٢) يوسف : ٨٣ . (٣) يوسف : ٨٤ - ٨٦ .